

التنمية الاقتصادية لبلدان الخليج العربي

في العصر العباسي

دكتور ابراهيم احمد العدوي

صارت الدولة العباسية في حقيقة جوهرها — منذ تأسيس بغداد — دولة خليج عربي ، وجزء لا يتجزأ من عالمه وأهله^(١) . وقد ورثت هذه الدولة عظمة دول الخليج القديمة التي سبق أن أسسها الآشوريون والسككديونيون ، وأخيراً الفرس الساسانيون وعرف العباسيون من هذا التراث الهائل الذي آل إليهم ولاعناهم بصفة خاصة على الفرس في إدارة دولتهم أمثل السبل للنهوض بأحوال الخليج العربي وتنمية هذا المصدر الأساسي من مصادر الدخل في دولتهم . وكانت الحقيقة الهامة التي وقف عليها العباسيون من تراث للاضي أن العقبة الخطيرة التي واجهت دول الخليج القديمة والتي حالت دون سلامتها هو فشلها في تنمية موارد تلك البلاد بسبب التناحر الذي سيطر على سواحل الخليج الثلاثة والتناحر الذي ساد سكان تلك السواحل من أجل الاستئثار بأكبر قدر ممكن من ثروات الخليج لأنفسهم دون مراعاة للصالح العام^(٢) .

(١) كان لتأسيس بغداد على دجلة الذي تجرى مياهه إلى الخليج العربي أثر في ربط هذه العاصمة بتجارة الشرق الأقصى في الهند والصين التي أتأتى إلى الخليج ، فضلاً عن تدفق سلم الجهات المجاورة عليها . وعبر عن ذلك مؤسس بغداد الخليفة أبو جعفر المنصور ، فقال « هذه دجلة ، وليس بيننا وبين الصين شيء يأتينا منها كل ما في البحر » ثم أضاف هذا الخليفة أيضاً عن بغداد موضحاً أنها « مشرعة للعالم » كل ما يأتى دجلة من واسط والبصرة والإبلة والاهواز وفارس وعمان واليمامة والبحرين وما يتصل بذلك فاليها تلقى وبها ترسى .
انظر : الطبري، تاريخ الرسل والملوك (الطبعة الحسنية) ج ٩ ، ص ٢٣٨ ، اليعقوبي، كتاب البلدان (ليدن ١٨٩٢ ، ص ٢٣٧) .

(٢) يعتبر الهجوم الذي قام به أكابرة الفرس على البحرين والشاطئ العربي للخليج زمن كسرى المشهور باسم سابور ذي الاكتاف نموذجاً لهذا الطمع الذي أساء إلى اقتصاديات الخليج العربي قبل الاسلام .

وانتهت سياسة العباسيين منذ أيامهم الأولى إلى العمل على تخليص بلدان الخليج العربى من تلك الروح العدائية والقضاء على رواسيها كذلك بين السكان اعتمدت تلك السياسة العباسية الجديدة على تنمية الموارد الاقتصادية لبلدان الخليج، ثم تنسيق التكامل الاقتصادى بينها بما يهيىء لكل بلد من تفجير طاقاتها الكامنة بشكل يحقق لأهلها أولاً الرفاهية والطمأنينة، ويمكن الدولة العباسية ثانياً من السيادة، وأخذ النشاط التجارى للخليج العربى يستند لأول مرة فى تاريخه — بفضل سياسة العباسيين — إلى زراعة واسعة وصناعة راقية أسهمت فيها كل بلد من البلدان حسب إمكاناتها وقدراتها . وغدا طريق الخليج على عهد العباسيين منطقة جذب كبرى للتجارة العالمية ، تجدد فى موارد بلدانه ما ينفذها ويوسع مجالها . فالتجارة فى كل مكان وزمان ليست إلا نتاجاً لما تفيض به ميادين الزراعة من محاصيل وما تخرجه ميادين الصناعة من سلع وأدوات على اختلاف الأشكال والأنواع .

واستلزمّت تنمية الموارد الاقتصادية لبلدان الخليج العربى عودة العباسيين إلى التنظيم الإدارى الساسانى الذى جمل من للمقاطعات البحرية المطلة على الخليج وحدات لها كيانه المستقل عن الجهات الداخلية المجاورة لها^(١) . واشتملت تلك المقاطعات البحرية على بلاد العراق التى يجرى فيها القسم الأوسط من دجلة والفرات ثم انقائهما معاً فى شط العرب إلى الخليج العربى . وكذلك مقاطعتى عمان والبحرين على الشاطئ العربى للخليج ، وأخيراً مقاطعات هوزتان وفارس وكرمان على الشاطئ الفارسى للخليج . وكانت معالم هذه المقاطعات قد تعرضت بعد الفتح الاسلامى وطوال عهد الأمويين للتغيير والتبديل حسب مقتضيات الفتوح وسياسة الأمويين فى دمشق . فكانت عمان والبحرين تنضم أحياناً إلى اليمامة ونجد بوسط شبه الجزيرة العربية، وأحياناً

(١) لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية (ترجمة كوكيس عواذ ، بغداد ١٩٥٤ ص ١٤)
Wilson, The Persian (Gulf London 1956) .

كان وإلى الكورة يشرف على تلك المقاطعات ومعها المقاطعات الفارسية حتى بلاد ماوراء النهر ، ولا سيما زمن الفتن التي واجهت الأمويين في العراق ، وأيام الفتوحات الأموية في المشرق أيضا (١) .

وحدة العباسيون منذ أيامهم الأولى معالم النظام الإداري لبلدان الخليج العربي وذلك بالعودة إلى نظام المقاطعات البحرية الذي ساد أيام الفرس الساسانيين والاحتفاظ كذلك بأسمائها وأقسامها المحلية ، التي اتفقت مظاهرها ومعالمها مع البيئة الجغرافية لعالم الخليج العربي . فظلت كل مقاطعة تنقسم طبقا للنظام الفارسي إلى كور أو أساتين وكل كورة أو أستان إلى رساتين وكل رستان إلى طسا سيج وشرح الجغرافي ياقوت هذه الاصطلاحات الإدارية قائلا : الكورة إسم فارسي بحت يقع على قسم من أقسام الأستان ، وقد استمارتها العرب وجعلتها إسمًا للأستان فالكورة والأستان واحد (٢) .

« والكورة كل صقع يشتمل على عدة قرى ، ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع إسمها ذلك إسم الكورة كقولهم . . نهر الملك (بالعراق) فإنه نهر عظيم ، مخرجه من الفرات ويصب في دجلة ، عليه تمر ثلاثمائة قرية ، ويقال لذلك جميعه نهر الملك . . » (٣) وانتقل ياقوت إلى شرح معنى الأستان قائلا إنه في الأصل يعنى المأوى ، ثم صار الأستان والكورة شيئا واحداً . وأوضح أن الأستان ينقسم بدوره إلى الرساتين ، وينقسم الرستان إلى الطساسيج وينقسم كل طسوج إلى عدد من القرى . . (٤)

(١) الطبرى ، نفس المرجع ، ج ٩ ، ص ١٤٩ .

(٢) حتى ، تاريخ العرب (مول — بيروت ١٩٦٥ ، ج ٢١ ص ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(٣) ياقوت ، معجم البلدان (القاهرة ١٩٠٦) ج ١ ، ص ٣٧ .

(٤) ياقوت ، نفس المرجع ، ص ٣٦

« وأما الرستان : فهو .. مشتق من دودنهستا .. ودودنه اسم للسطر والصنف والسماط ، ونستا اسم للحال .. وللعنى أنه على التسطير والتنظام . قلت : الذى عرفناه وشاهدناه فى زماننا فى بلاد الفرس إنهم يسمون بالرستان كل موضع فيه مزارع وقرى ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبندباد ، فهو عند الفرس بمنزلة السواد عند أهل بغداد وهو أخص من الكورة والاستان . »^(١)

« وأما الطسوج .. فهو أخص وأقل من من الكورة والرستان ، والاستان ، كانه جزء من أجزاء الكورة .. لأن الكورة قد تشتمل على عدة طساسيج ، وهى لفظة فارسية أصلها تسو ، فعربت بقلب التاء طاه ، وزيادة الجيم فى آخرها ، وزيد فى تعريبها يجمعها على طساسيج . وأكثر ما تستعمل هذه اللفظة فى سواد العراق وقد قسموا سواد العراق على ستين طسوجا ، أضيف كل طسوج إلى اسم »^(٢) .

ومهد العباسيون عند احتفاظهم بالنظام الإدارى الساسانى لبلدان الخليج العربى على تطهيره فى نفس الوقت من عيوبه القديمة التى تجلبت فى التفرقة بين سواحله وسكانها . ونجح العباسيون فى ذلك بفضل اتباعهم للنظام المركزى منذ أيامهم الأولى والذى يستهدف مراقبة العمال والاشراف الدقيق على أحوال البلاد . وساعد العباسيين على دعم هذه الخطوة انتظام ديوان البريد ، الذى اهتم به الخليفة أبو جعفر المنصور اهتماما عظيما ، واتخذ أداة لربطه بسائر أرجاء الدولة ، ومعرفة أحوال رعيته وللبادرة إلى رفع أى حيف أو غبن يقع عليها . وعبر الخليفة أبو جعفر المنصور عن الطابع الجديد الذى استهدفه من الإدارة على عهده قائلا :

(١) ياقوت ، نفس المرجع ، ص ٣٧

(٢) ياقوت ، نفس المرجع ، ص ٣٨

« ما كان أحوجنى إلى أن يكون على بابى أربعة معز لا يكون على بابى أعف عنهم
 فقيل له يا أمير المؤمنين ، من هم ؟ قال : هم أركان الملك ، لا يصلح إلا لهم ، كما أن
 السرير لا يصلح إلا بأربعة قوائم إن نقصت واحدة تداعى ، وهى : أما أحدهم فقاض
 لا تأخذه فى الله لومة لائم ، والآخر صاحب شرطة ينصف الضيف من القوى والثالث
 صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية فإنى من ظلمها غنى . والرابع ثم غص على
 أصبمه السبابة ثلاث مرات يقول فى كل مرة آه ، قيل له من هو يا أمير المؤمنين ؟
 قال : صاحب بريد يسكتب إلى غير هؤلاء على الصحة » (١) .

ونالت بلدان الخليج العربى قدرا كبيرا من هذه العناية الادارية المباسية ،
 فتولى إدارة المدن الكبرى فيها عمال وفق النظام الذى تحدث عنه الخليفة للمنصور ،
 مع آخرين تنفق مهامهم مع طيبة تلك النواحي التجارية . وكان من هؤلاء العمال
 الكبار : القاضى وصاحب البريد والبندار وصاحب المعونة (٢) وساد تلك البلدان أيضا
 الرخاء الاقتصادى الذى سهر الخليفة للمنصور على تحقيقه إذ حرص على مراقبة الأسعار
 باعتبارها عنوانا على الأحوال الاقتصادية والعمل على عدم ارتفاعها ضمنا لا استقرار
 الناس وتوفيرا لأسباب العيش الكريم لهم . فكانت ولاية البريد فى الأناضول كلها
 « يسكتبون إلى للمنصور أيام خلافته ، فى كل يوم : بسم القمح والحبوب والادم ،
 وبسعر كل ما كول وبسكل ما يقضى به القاضى فى نواحيهم ، وبما يعمل الوالى ، وبما
 يرد بيت المال ، وكل حدث .. فإذا أوردت كتبهم نظر فيها ، فإذا رأى الأسعار على
 حالها أمسك ، وإن تغير شئ منها عن حاله كتب إلى الوالى والعمال هناك وسأل عن
 العملة التى تقلت ذلك عن سعره فإذا ورد الجواب بالعلة تلتطف لذلك برفقته حتى يعود
 سعره ذلك إلى حاله » (٣) .

(١) الطبرى ، نفس المريج ، ج ٢ ، ص ٢٩٧

(٢) متر ، الحصار الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى (ترجمة أبو ريده) (١٩٥٧)
 ج ٢ ، ص ٢٧٣ .

(٣) الطبرى ، نفس المريج ، ج ٩ ، ص ٣١٤

وبلغ من انتظام البريد في عهد أبي جعفر المنصور أن عماله كانوا يوافونه بذلك مرتين في كل يوم ، فإذا صلى المغرب وافوه بما حدث طول النهار ، وإذا صلى الصبح كتبوا اليه بما جرى في الليل من أمور ^(١) . واستطاع الخليفة أن يحقق هدفه الاقتصادي وهو توفير الرخاء للناس ، حتى قال أحد معاصريه « رأيت في زمن أبي جعفر المنصور كبشا بدرهم ، وحملًا بأربعة رواق ، والتمر ستين رطلا بدرهم ورايت ستة عشر رطلا بدرهم . والسمن ثمانية أرطال بدرهم . » ^(٢)

ونقلت طرق البريد المتفرعة من بغداد إلى سائر بلدان الخليج العربي صورة زاهرة عن هذا الرخاء الاقتصادي الذي ساد تلك الأرجاء ، وهزم رجال الإدارة هناك إذ دأب للمباسبون على تعيين كبار العمال في بلدان الخليج من أبناء البيت العباسي نفسه أو من كبار رجالات الدولة للمشهود لهم بالولاء للبيت العباسي والقدرة على تحقيق سياسته . وغدت بلدان الخليج العربي تشعر بالترايط واللودة لأول مرة في تاريخها ، حتى صار الخليج العربي بحيرة عباسية . ينعم أهله في ظل الإدارة العباسية بالطمأنينة ويأتيهم رزقهم رغدا .

ووصف الجغرافيون والرحالة المسلمون هذه الروح الجديدة التي سررت في بلدان الخليج العربي ، وما اقترن بها من تنمية اقتصادية واسعة النطاق إذ جعل النظام الإداري العباسي من مقاطعات الخليج العربي وحدة مترابطة أشبه بالطائر له صدر وجناحان . أما الصدر فهو مقاطعة العراق ، والجناح الأيمن ضم عمان والبحرين التي صارت مقاطعة واحدة حاضرتها البصرة في العراق أما الجناح الأيسر فانتظم مقاطعات الساحل الفارسي للخليج والتي ظلت تحمل نفس اسمائها وتمدادها القديم وهي : خوزستان وفارس ثم كرمان .

(١) Von Kremer, Orient under the Caliphs, P. 233.

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد (القاهرة ١٣٤٩ هـ) ج ١ ، ص ٨٠ ؛ الجهشيارى ،

الوزراء والكتاب (تحقيق السقا) ، ص ١١٧

أولا : العراق أو السواد :

انتظم العراق في ظل النظام الإداري للدولة العباسية نفس للمقاطعة البحرية التي أنشأها الفرس الساسانيون حين نقلوا عاصمتهم إلى المدائن من أجل السيطرة على طول الخليج العربي وعالمه (١). فكانت بلاد العراق تعني نفس اشتقاقها للفوى من الهلوسة وهو الأراضي الواطئة (٢) إذ جرى سهل العراق الفسيح امتدادا طبيعيا لحوض الخليج العربي نحو الشمال على شكل مستطيل منبسط ينحصر بين جبال زاجروس وكروستان من جهة الشرق وبين الهضبة الصحراوية من جهة الغرب غير أن العباسيين فضلوا أخلاق (السواد) على بلاد العراق إمعانا في التمييز بين هذا الأقاليم الخصيب الحافل بالحداد مجرى دجلة والفرات وفروعها المديدة نحو الصحراء الممتدة في كل من بلاد العرب وجنوب الشام (٣).

ووضع العباسيون لعاصمتهم بغداد نظام إداريا يدعم روابطها مع أرض السواد باعتبارها جزء من عالم الخليج العربي. ذلك أن بغداد كانت بفضل شبكة الملاحة النهرية التي أقامها العباسيون تطل بوجهها نحو الخليج العربي وتعتبر مدينة من أهم مدنه، ومعلما كبيرا في حياة الاقتصاد. ولذا حرص العباسيون في نظامهم الإداري على جعل بغداد إحدى حواضر إقليم السواد، فضلا عن مكانتها باعتبارها مقر الخلافة وعاصمة الدولة العباسية. فكان القسم الشرقي من بغداد حيث قصور الخلافة تحت إشراف الخلفاء أنفسهم: أما باقى أرجاء العاصمة فكانت تتبع إداريا لمسوح بادوراي (٤)، أشهر نواحي العراق خصوبة وزدهارا بالزراعة.

(١) Wilson . op cit. 60.

(٢) حتى : تاريخ العرب — مطول (بيروت ١٩٦٥) ج ١ ، ص ٢١٠

(٣) ابن خردادبة ، المسالك والممالك (ليدن ١٨٨٩ ، ٦٢٥) .

(٤) الطبرى ، نفس المرجع ، ج ٩ ، ص ٢٤٢ ، متر . نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٢٧٣

واقضى هذا الوضع الإدارى لبغداد ، فضلاً عن نظرة العباسيين إلى العراق باعتبارها أرض السواد أن تكون الزراعة والثروة الزراعية موضع الاهتمام الرئيسى للخلفاء وعملهم . واستطاع العباسيون تنمية الزراعة بالعراق عن طريقين ، أولهما تنظيم وسائل الري والثانى توسيع رقعة الأراضى الصالحة للزراعة . أما عن الأولى فكانت مجارى دجلة والفرات لا تطالب إلا شق الترع والقنوات لتوصيل المياه إلى الأراضى الزراعية . وتولى دجلة ري مساحات واسعة من الجانب الشرقى للبلاد وتحويلها إلى حقول لزراعة الحنطة والشعير والأرز . وتولى نهر الفرات ري معظم أراضى السواد ومساهمتها فى الميدان الزراعى بإنتاج حاصلات جديدة ، مثل العلى وهو نوع من الحبوب والجاروسى وهو نوع من الدخن (١) .

وتتطلب العامل الثانى وهو توسيع رقعة الأراضى الزراعية صيانة السدود والمنشآت والبشوق . وكان هذا الأمر شاقاً ، لأن أرض السواد تعرضت كثيراً للفيضانات وانسباح الماء فى البطائح وتخريب الأراضى الزراعية وكانت المحافظة على السدود تتطلب بدورها سهرًا مستمرًا لأنها كانت شئ من القصب والتراب الذى يعجز أحياناً عن مقاومة اندفاع الماء . وكان يكفى أن ثغرة يسيرة على إحدى نواحي السد حتى يتولى الماء الهدم والتخريب فربما أفسد فى ساعة تمب سنة أو نحوها (٢) وخصص العباسيون لهذا الغرض طائفة من العمال قائمة بذاتها ، لا مهمة لها إلا حماية الجسور وتوفير السلامة للأراضى الزراعية . وإلى جانب ذلك أقيمت قناطر عديدة على مجارى الأنهار لتنظيم توزيع المياه ومنعها من تخريب الأراضى الزراعية .

(١) متر ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ٢٩٧ ، صالح العلى : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة (بيروت ١٩٦٩ ، ص ١٨٦) .

(٢) متر ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

وحرص المباسيون على تخفيف الأعباء عن كاهل الفلاحين وإتاحة السبل أمامهم للعمل في طمأنينة وعدالة . وكان من أهم المخططات التي قام بها المباسيون في سلك هذا السبيل إلغاء « نظام المساحة » الذي كان معمولاً به منذ عهد عمر بن الخطاب — بل من قبل ذلك زمن الفرس الساسانيين وتطبيق « نظام المقاسة ^(١) » ومعنى نظام المساحة أن يكون هناك خراج مقرر معين على مساحة محددة من الأرض تحتية الدولة في كل عام — جملة أو متجزأ — دون نظر إلى ما يحدث من اختلاف كمية المحصول أو اعتبارات أخرى .. أما نظام المقاسة فهو أن تنقسم الدولة والناس ما ينتج من محصول بنسبة معينة : الثلث مثلاً للدولة والثلثين للمزارعين دون اعتبار للمساحة . فيغير الخراج بطبيعة الحال بتغير المحصول الذي ينتج ^(٢) وجاء نظام المقاسة فائدة للفلاحين وتخفيفاً للاجحاف عنهم . وقد طبق هذا النظام على جميع مائنتجه العراق ليس فقط من الحبوب ، بل وعلى التمور والفواكه أيضاً .

وكان يزرع في العراق أنواع كثيرة من التمور ونجاحه في البصرة . وترتب على ذلك أن صارت العراق تحفل بالحبوب والفواكه ، وغدت تجارة المواد الغذائية من أهم معادير الثروة في البلاد فصدرت العراق الحبوب ونجاحه إلى جهات الساحل العربي للخليج والجهات الداخلية من شبه الجزيرة العربية التي تفتقر إلى تلك المنتجات الهامة . واشتهرت بعض مدن العراق بأنواع خاصة من التجارة تتفق مع منتجاتها الزراعية ، ومن ذلك الكوفة التي اشتغل أهلها بتجارة الزيوت المستخرجة من السمسم ^(٣) .

صحب الانتاج الزراعي تقدم صناعي كذلك ، فاشتهرت بلاد العراق بصناعة المنسوجات الكتانية والصوفية والحريية حتى وصفها الجغرافيون والرحالة المسلمون

(١) الماوردي ، الأحكام السلطانية (مصر ١٢٩٨ هـ) ص ١٦٨ .

(٢) ضياء الدين الرئيس ، الجزائر (١٩٦٩ ، ص ٤٣٠) .

(٣) من ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ ، صالح العلي ، نفس المرجع ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

بأنها أكثر الاقطار الإسلامية «صوفا وقزا»^(١) وكانت البصرة أهم مراكز تلك الصناعة وإنتاج أنواع جيدة من الحز والبز . وأدى الازدهار الزراعى والتقدم الزراعى إلى قيام تجارة رائجة بالعراق ومع جيرانه كذلك . وسرعان ما ظهرت الحاجة إلى وضع كثير من التشريعات لتنظيم تلك التجارة وحمايتها من جمع التجار . إذ كان أولئك التجار يتلاعبون أحيانا في تجارة الحبوب ، وذلك بشراء كميات كبيرة وتخزينها انتظاراً لارتفاع الأسعار ثم يبيعها واضطرت السلطات العباسية إلى إغراق الأسواق بمقادير من الحنطة للقضاء على مثل هذا التلاعب وأصاب تاجران من تجار الحبوب على عهد المأمون خسائر فادحة أمام بقضة الإدارة ورقابتها الفعالة . فبعد أن توقعوا ربما مقداره عشرة آلاف درهم انخفض سعر الحبوب وخسرا ستة آلاف درهم^(٢) .

ووضعت السلطات العباسية الأسواق تحت مراقبة دقيقة فبعد غروب الشمس تنتهى الحركة فى الأسواق ، ويحمل التجار سلعم إلى المخازن وتخلو الأسواق من الناس عدا الحراس . وجلس فى الأسواق رجل يسمى « القاقد » حرفة تمييز الدراهم وفحصها واكتشاف الزائدة منها . وطبقت السلطات العباسية أيضاً الشريعة الإسلامية فى المعاملات المالية بما يقضى على الربا وغيره من وسائل التحايل حتى صار البائع والمشتري يتعاملان فى ثقة وطمأنينة . وحمل الفقهاء لواء البصرة العباسيين باى خلل يصيب النواحي الاقتصادية وبخاصة عن مساوىء جباة الضرائب وكان أولئك الجباة يتخذون أما كنهم على طرق للتجارة النهرية والبرية العديدة بالعراق ، وينصبون حبالا بين صفتى دجلة والفرات ويوقفون السفن وتحصيل الضرائب منها حسبما تحمله

(١) المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ٦٤٥ .

(٢) متر ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ .

من تجارة . وكانت السلطات العباسية تبادر إلى منع أى نزول بالتجار أو الناس
ومراقبة الجباة مراقبة شديدة (١)

ونعمت بلاد العراق زمن العباسيين بذلك برفاهية جمعت وارداتها تزيد على
صادراتها ، فكان أهل العراق مثلاً يستهلكون كل إنتاجهم من التمر عدا أنواع جيدة
تصدر إلى الخارج . وحملت هذه الظاهرة التجارية بلاد العراق على أن تدعم صلاتها
مع بلدان الخليج العربي ، باعتبارها أقرب الأرجاء إليها ولتحصل منها على ما يسد
حاجاتها ويوفر أسباب الهناء لسكانها . وبدأت حركة التبادل التجارى فى الخليج
العربى تلقى قوة دافعة جديدة من مقر العباسيين الزاهر فى بلاد العراق .

ثانياً : ولاية للساحل العربى للخليج :

جعل العباسيون عمان والبحرين ولاية واحدة تشمل الساحل العربى للخليج ،
وحاضرتها البصرة فى أرض العراق (٢) . وكان هذا التنظيم يتمشى مع سياسة
العباسيين فى الحكم الملى ، كما يتفق أيضاً مع الأوضاع الجغرافية والاقتصادية
للساحل العربى للخليج . فكانت البحرين كما وصفها ياقوت « اسم جامع لبلاد على
ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان » (٤) . وأوضح الجغرافى الاصطخرى طبيعة
هذا الموقع القائم بنفسه من شبه الجزيرة العربية فقال : « وأما البحرين فإنها
من ناحية نجد ومدينتها هجر ، وهى أكثر تمورا ، إلا أنها ليست من الحجاز وهى
على شط بحر فارس . . . ولها قرى كثيرة وقبائل من مصر ذوو عدد قد احتقوا

(١) متر ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ .

(٢) الدورى ، مقدمة فى التاريخ الاقتصادى العربى (بيروت ١٩٦٩) ص ٧٠ ،

صالح العلى ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٣) حتى ، نفس المراجع ، ج ١ ، ص ٤٠٧ .

(٤) ياقوت ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٧٢ .

(٥) الاصطخرى ، المسالك والممالك (تحقيق د . أحمد جابر عبد العال - ١٩٦١) ص ٢٣

وأكل الجغرافى ابن حوقل صورة البحرين قائلاً : أنها تشمل على مدن ونواحي أهمها
« هجر والاحساء والقطيف والمقير وبشة والخرج وأوال » (٥) .

ويتضح من أوصاف الجغرافيين المسلمين أن مدن البحرين ليست إلا أقسام لهذا
الساحل اشتهرت بأسماء المدن الكبرى فيها . فهجر كانت المقاطعة الرئيسية ،
واشتملت على عدة مدن صغيرة وقرى ، اشتهرت باسم أهمها وهى هجر . وكذلك
الاحساء اشتملت على امتداد من الأرض على الساحل العربى للخليج ، قامت به
مدن كان من أشهرها الاحساء نفسها التى فرضت اسمها على تلك المنطقة . وعلى هذا
النحو جرت أسماء باقى النواحي التى اشتملت عليها بلاد البحرين طبقاً لتعريف
الجغرافيين المسلمين . ويبدو أن السبب فى الجمع أو الخلط بين أسماء المدن والجهات
المجاورة لها ، هو أن تلك الأرجاء من الساحل العربى كانت مهبط القبايل من وسط
شبه الجزيرة العربية طلباً للإقامة بها والبحث عن أسباب العيش على ضفاف الخليج
وغدت أما كن الاستقرار تحمل أسماء لا تلبث أن يتسع مدلولها إلى ما جاورها من
النواحي ، وأحياناً يبقى الاسم علماً على المدينة التى تفوقت على ما عداها من
المدن والقرى .

وقام إلى جوار هذا الساحل عدة جزر هى التى علق بها إلى اليوم اسم البحرين
وكانت أشهر هذه الجزر هى أوال بالقرب من القطيف ، وهى فى البحر «على مسيرة
يوم للريح الطيب عن القطيف» وبها كروم كثيرة للنفاية ونخيل وأترج
ومراعى (١) . واشترك فى هذه الظاهرة من الحياة النباتية سائر بلدان البحرين
بمعناها عند الجغرافيين المسلمين . فكانت جهات الاحساء نظراً لطبيعتها تحتوى

(١) ياقوت ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٧٣ .

على موارد من المياه الجوفية تساعد على قيام نوع من الزراعة البسيطة وبخاصة في الحبوب إلى جانب النخيل . واشتهرت مقاطعة هجر بانتاجها في التمر حتى صار يضرب بها المثل للمشهور « كناقل التمر إلى هجر » (١) .

وارتبطت بلاد عمان ارتباطاً وثيقاً بالبحرين بسبب موقعها الجغرافي ، إذ كانت أشبه بجزيرة تحيط بها الصحراء الشهيرة بالربع الخالي من جانب والبحر من جانب آخر ، وهو الأمر الذي جعلها تطل على الخليج العربي وتتمس فيه بدورها أسباب العيش لأهلها ، ووصف الاصطخري هذا الموقع الجغرافي لعمان وطبيعة الحياة فيها فقال : « عمان مستقلة بأهلها ، وهي كثيرة النخيل والفواكه الجرومية من اللوز والمان والتين ونحو ذلك ، وقصبتها صحار وهي على البحر » (٢) . وقد أشار الجغرافيون القدامى من اليونان والرومان إلى أن عمان كانت مدلولاً واسعاً ، يمتد غرباً إلى اليمن وشمالاً إلى البحرين (٣) . ويبدو أن تلك الأوصاف القديمة هي دلالة على الاتصال البحري لعمان بكل من اليمن والخليج العربي ، حيث كان البحر هو السبيل الوحيد لانصالها بالعالم الخارجى وميدان لنشاط أهلها .

وكان العباسيون بذلك موفقين في ضم كل من عمان والبحرين واعتبارهما ولاية واحدة عاصمتها البصرة . وكانت وسائل الاتصال ميسورة بين البصرة وكل من البحرين وعمان بحراً وبراً ، وكذلك المحطات على امتداد تلك الطرق ، والزمن الذى تقطع فيه تلك المسافات أيضاً . ومن ثم علا شأن هذه الولاية الجديدة بالنسبة لدورها في شبكة للتواصلات البحرية والبرية على امتداد طريق الخليج العربى . فسكان المدن التى عددها الجغرافيون المسلمون على البحرين وجزرها مراكز

(١) ياقوت ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) الاصطخري ، نفس المرجع ، ص ٢٧ .

(٣) جواد على ، الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت ١٩٦٨) ، ج ١ ،

ص ٥٥٥ ، ٥٥٦ .

هامة للسفن وتموينها، فضلا عن اشرافها على نهاية طرق القوافل البرية عبر الجزيرة العربية،
ومن أمثلة ذلك جزيرة أوال نفسها، وميناء القطيف على ساحل الاحساء ثم ميناء صحرار
ببلاد عمان .

وحبت الطبيعة الساحل العربي للخليج بمصدر هام من مصادر الثروة الطبيعية ،
كان له بدوره أثر عظيم في عملية التنمية الاقتصادية على عهد العباسيين ، اذ اشتهر الخليج
العربي بمفاس اللؤلؤ والتي انتشرت أيضا في اجزاء عديدة من المحيط الهندي . غير ان
ساحل الخليج العربي عند البحرين امتاز باتاج اجود أنواع اللؤلؤ ، والذي
تهافتت كل البلاد في الحصول عليه وبخاصة الصين بالشرق الاقصى . (١) اذ ارتكزت
جزيرة البحرين على شط اللؤلؤ العظيم الذي يتألف من تكوينات جيرية من الشباب
المرجانية ، وتوجد على عمق قليل في مياه الخليج . (٢)

وكان العمل يجري بنشاط واهتمام من أجل استخراج اللؤلؤ في البحرين حيث كان
لتجارة اللؤلؤ دور عظيم في بناء اقتصاد تلك النواحي . وكان الصيف هو الموسم الفصلى على
اللؤلؤ حيث يخرج النواصون لذلك من أول ابريل الى اخر سبتمبر . وجرى استخراج
اللؤلؤ على قاعدة هامة ، فكان التجار يؤجرون النواصون شهرين ، ويدفعون لهم أجورهم
بانتظام ، وفي بعض الاحيان يدفعون لهم مبالغ مقدما ، مقابل استغلال جهدهم . وكان
للناصون يلقون متاعب جمة ، لم تزل منذ اقدم العصور ، أهمها تعرضهم لآخطار
البحر (٣) .

ووصف المسعودى حياة أولئك النواصين على اللؤلؤ فأوضح انهم لا يتناولون شيئا

(١) السعدى ، مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد) ١٩٥٨ ، ج

١ ، ص ١٤٨

(٢) محمد متولى ، حوض الخليج العربي (القاهرة ١٩٧٠) ، ص ٢٢٠

(٣) متر ، نفس الرجوع ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ .

من اللحم الا السمك ، وياً كالون النمر ونحوه من الاقوات ، وتشق اصول اذانهم
ليخرج منها النفس بدلا من المنخرين «لان المنخرين يجعل عليها شئ من الدبل وهو ظهور
السلاحف البحرية التي تتخذ منها الاقراط ، او من القرن يضمها كالمشقص لامن
الحشب ، وما يجعل في آذانهم من القطن فيه شئ من الدهن ، فيصرون من ذلك الدهن
اليسير في الماء في قمرة ، فتضئ لهم بذلك في البحر ضياء بينا ، واما يطلبون به أقدامهم
وأسواقهم من السواد خفا من بلع دواب البحر اياهم وينفرونهم من السواد
وصياح الناصة في قمر البحر كالكلاب وخرق الصوت الماء فيسمع بعضهم صياح
بعض . (١)

ووصف الرحالة الجغرافيون اهمية هذا الأولو وتجارته بالنسبة للبحرين ، فقال عنها
ناصرى خسرو «والبحرين ايضا اسم لمدينة هامة ، تحيط بها مزارع النخيل وتمارس عملية
النوص على الأولو في بحر البحرين ، ونصف اللالى التي يخرجها النواصون تخص
زعماء الاحساء ، وكان اسطول الصين يخرج في عدة مرات كبحر تحمل النواصين ، ويتقدمهم
القائد ، فاذا وجد شيئا القى مراسى سفينته ، والقى الآخرون مراسى سفنهم حوله ،
ثم يستند النواصون بملابسهم . وباخذ كل منهم سكيناً ومخللاً ، ويقعد على حبل مربوط
في جبل يمسكه المساعد به وينزل الى قرار البحر ، واذا اشار أحد النواصين بتحريك حبله
جذبوه الى السطح (٢)

وكان الأولو يفرز بواسطة غرابيل ثلاثة متفاوتة اتساع الحروق ، بعضها فوق
بعض . وتعتبر احسن أنواع اللالى المستدرة تمام الاستدارة . وقد اشد الطاب على
لؤلؤه والبحرين زمن العباسيين لقلة ما كان يستخرج من النواحي الاخرى بالمحيط الهندي

(١) السعوى ، قس المرجع ، ج ١ ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) متر ، قس المرجع ، ص ٣٢٠ .

فضلا عن جودتها . وكثر تهريب اللؤلؤ الى البحرين ، وحق ان التجار الاجانب الذين قصدوا الصين كان من عادتهم ان يخبثو اللؤلؤ في بطائن ملابسم أو مقابض مظلاتهم ، هربا من دفع المكوس . (١)

واشتهرت ولاية البحرين بنوع من الصناعات الوطنية البسيطة الى جانب تجارة اللؤلؤ وكان اهم تلك الصناعات هي صناعة نوع من من الفوط التي اشتهرت بها الاحساء ، وزاد الطلب على فوط الاحساء ، وصارت تصدر الى البصرة بصفة خاصة ، حيث عاصمة ولاية عمان والبحرين . وجرت عملية الصفقات التجارية في البحرين على نطاق واسع ، وبمقادير كبيرة . وأعد من اجل ذلك قفاف (سلال او أكياس) تزن كل منها ٦٠٠٠ درهم ، تعتبر الوحدة التي يتم بمقتضاها البيع والشراء ، فاذا ماتم الاتفاق على سلعة من السلع تقوم بما يعادل ثمنها من تلك القفاف . ولم يكن مسموحا بتصدير هذه النقود حفظا لموارد الولاية (٢)

واستطاعت عمان والبحرين ان تسهم بمقدار كبير في دخل الدولة العباسية فذكر قدامه بن جعفر أن خراج هذه المقاطعة بلغ في ميزانية سنة ٢٣٧ هـ / حوالي ٥١٢.٠٠٠ دينار (٣) . وشهد هذا المقدار على مدى الثراء الذي تدفق على ولاية عمان والبحرين ، إذ كان هذا الخراج هو الفائض عن حاجة المقاطعة بعد سداد نفقاتها ورواتب عمالها جريا على العادة التي سار عليها بيت المال المركزي في الدولة الاسلامية .

(١) متر ، قس المرجع ، ص ٣٢٥ .

(٢) Wilson, op cit, P.88.09 .

(٣) قدامه بن جعفر ، نبذه من كتاب الخراج (لندن ١٨٧٩ ، ص ٢٤٩) -

مقاطعات الساحل الفارسي للخليج :

شهدت مقاطعات الساحل الفارسي للخليج تطوراً هاماً في العصر العباسي أدى إلى دعم الطابع العربي للخليج ، وإعطائه الشخصية التي جعلته حراً أن يدعى باسم الخليج العربي . وكان قوام هذه الظاهرة هو استقرار القبائل العربية التي تدفقت منذ الفتح الإسلامي زمن الراشدين والامويين على بلاد فارس ، وتطور كثير من المعسكرات الحربية إلى أماكن دائمة ومدن زاهرة . وكانت هذه الظاهرة من أهم المميزات التي سادت الخليج العربي في العصر العباسي ، وجعلته يدخل في مرحلة جديدة من مراحل تاريخه ونشاطه . ذلك أن الفرس الساسانيين برغم سيادتهم أحياناً لبعض السواحل العربية للخليج ، لم يترتب عليه هجرة فارسية إلى تلك السواحل أو تغيير في بنائها البشرية . ولكن الهجرات العربية القديمة التي دأبت على الانتقال إلى الساحل الفارسي للخليج وجدت في الفتوحات الإسلامية حافزاً ودافعاً ، وأخيراً وجدت في العباسيين سنداً وسبيلاً للاستقرار وإضفاء الطابع العربي بدوره على تلك السواحل الفارسية ، حتى غدا الخليج عربي الوجه واليد واللسان .

وكانت أهم خطوات العباسيين هو أنهم أتاحوا في ظل نظامهم الإداري السبيل أمام العرب للانتقال من حياة المعسكرات والفتوح إلى حياة التفاعل في المدن والأشغال بشق الأعمال الزراعية والتجارية . وترتب على ذلك امتزاج العرب بأهالي مقاطعات الساحل الفارسي للخليج والاشتراك معها في عجلة التنمية الاقتصادية وبناء التكامل الاقتصادي بين سائر أرجاء الخليج وبلدانه . فكان عصر العباسيين هو عصر الحضارة العربية وبناء أركانها وبخاصة في الميادين الاقتصادية ، وخلق الوسائل التي تمكّن الجميع أبناء الدولة على اختلاف أجناسهم التماون فيما يحقق لهم الأطمئنان والاستقرار واقتسام أسباب الرزق عن عدالة في التوزيع وكفاية في الإنتاج .

الأهواز (خوزستان) :

وتجلت في مقاطعة الأهواز أولى مظاهر هذا التطور الجديد في الساحل الفارسي للخليج ، من حيث تعريبه وتنمية موارده الاقتصادية . وتقع هذه المقاطعة شرق العراق ، حيث تتلاقى في حدودها مع كورة واسط . وأطلت هذه الولاية على رقعة من الركن الشمالي الشرقي للخليج ، تمتد مياهها حتى مياه البصرة والأبلة (١) ، واشتهرت تلك المقاطعة بزراعة قصب السكر وسميت من أجل ذلك باسم خوزستان (٢) ، أى ولاية القصب . غير أن الاسم الذي شاع زمن العباسيون هو ولاية الأهواز لسبب إلى أكبر مدنها وهى التى اشتهرت بسوق الأهواز (٣) . إذ تدفقت القبائل العربية على تلك المدينة وغيرها من مدن المقاطعة ، وصارت مراكز استقرارها علما يميز تلك الولاية كلها . وأخيرا صارت تعرف باسم عربستان أى أرض العرب لشكثرة القبائل العربية التى استقرت بها (٤) واتخذتها مأوى لها .

وساعد على تعريب الأهواز حتى اشتهرت باسم عربستان هو جوارها المباشر للعراق وسهولة اتصالها بأرضه جغرافيا وبشرىا واقتصاديا . ووصف الاصطخرى تلك المظاهر الجغرافية الطبيعية والبشرية قائلا : « وليس بجميع خوزستان جبال ولا رمال إلا شئ يسير والباقي من خوزستان كأنه أرض العراق . .

(١) بن حوقل ، نفس المرجع ، ص ٢٢٥ ، لسنج ، بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٦٨ ،

٢٦٩ .

(٢) المقدسى ، نفس المرجع ، ص ٤٠٥

(٣) ياقوت ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٣٨٠ .

(٤) على نعمه الحلو ، الأحواز (عربستان) بغداد ، ج ١ ، ص ٢١٧

وأما ترابها فإن ما بعد عن دجله إلى ناحية الشمال أبيض وأصح ، وما كان إلى دجلة أقرب فهو من جنس أرض البصرة في التسيح ؛ وكذلك في الصحة ونقاء البصرة في الناس . . . وأما لسانهم فإن عامتهم يتكلمون بالفارسية والعربية . . . وزيهم زى أهل العراق في الملابس من القمص والطبالة والمهائم (١) .»

وانتقلت القبائل العربية بذلك من العراق إلى أولى مقاطعات الساحل الفارسي لما غلب دون أن تجد فارقا جغرافيا أو بشريا ، فنقلت على تلك الأنحاء من الأهواز الأشجار من النخيل ، ولأهلها « عامة الحبوب من الخنطة والشعير والباقلان ، وأكثر حبوبها هو الخنطة الشعير والأرز فيخرجونه ، وهولهم قوت ، وكذلك في رستاق العراق . (٢) » .

وقد أقيمت الأهواز من العباسيين نفس العناية التي أقيمتها أرض السواد من حيث تنظيم وسائل الري . وكان يجري في الأهواز نهر قارون الذي سماه المسلمون باسم دجيل ، وكان الشبه بينه وبين دجلة والفرات قويا من حيث جريان مياهه وانسيابها قرب للصب وضرورة الاهتمام به كوسيلة من وسائل الري والمواصلات كذلك .

وحافظ العباسيون على تراث الساسانيين هناك من أجل النهوض بدجيل واستثمار الأراضي الزراعية حوله . وكان على هذا النهر مدينة تستر التي شيد عندها سابور سدا اشتهر باسم « الشاذروان » . وكان « امتداده بقرب من ميل قد بنى بالحجارة كله حتى تراجع الماء فيه ، وارتفع إلى باب تستر » ذلك أن الهدف من هذا السد هو الحصول على المياه المخزنة خلفه للري . ولذا أقيم خلف السد ثلاث قنوات عليها فتحات

(١) الاصطخرى ، نفس المرجع ، ص ٦٢ — ٦٣ .

(٢) الاصطخرى ، نفس المرجع ص ٦٣ .

لتنظيم تدفق المياه فيها إلى الأراضي الزراعية . وصارت المدينة بذلك محاطة بمحاذيق الأعشاب والبرتقال والنخيل ، فضلا عن أن الأراضي صارت خصبة جدا « لدرجة أن كل ما تحتاجه الأرض هو حرارة على الحمر وتنمو فيها الدرة والقطن وقصب السكر بشكل ممتاز أو تكاليف ذلك دائما رخيصة » (١) .

ويجربى من ناحية تسترهر آخر عرف باسم السرطان وصفه الاصطخرى قائلا : « تجربى فيه السفن العظام ، وقد ركبته أنا من عسكر مكرم إلى الاهواز ، والمسافة ثمانية فراسخ . فسرنا فى الماء ستة فراسخ . . ولا يصنع من هذا الماء شيء » وإنما تسقى به أراضى قصب السكر وما فى أضعافه من النخيل والزروع . وما بخوزستان كلها على كال عمارتها بقعة هى أعمر وأزكى من السرطان (٢) » وقام إلى الجنوب من لستر على بعد ستين ميلا تقريبا مدينة الاهواز التى اشتهرت باسم سوق الاهواز وإليها نسبت للقاطعة زمن العباسيين . واستمدت هذه المدينة شهرتها من موقعها الممتاز الذى جعلها مركزاً تتجمع به متاجر شتى أرجاء للقاطعة ، ثم تنقل منها بعد ذلك إلى النصدير وبخاصة إلى البصرة بالمراق . (٣)

وكانت صادرات الاهواز تكشف عن قدر كبير من القيمة الاقتصادية فى شتى الميادين الزراعية والصناعية . وقامت صناعة السكر على للنتجات الزراعية لهذه للقاطعة ، واشتهرت مدينة جندريسابور بانتاجها من السكر الذى حمل إلى شتى البلاد (٤) . غير أن صناعة الحرير كانت من أقدم وأشهر الصناعات ببلاد الاهواز زمن العباسيين ، وتنقل من مدنها إلى سائر الأرجاء . فاما لستر « فإن بها يتخذ

(١) الاصطخرى ، نفس المرجع ، ص ٦٤ — ٦٥ .

(٢) الاصطخرى ، نفس المرجع ٦٢ — ٦٣ .

(٣) المقدس ، نفس المرجع ، ٤١٠ .

(٤) الاصطخرى ، نفس المرجع ، ص ٦٣ .

الديباج الذى يحمل إلى الدنيا ، وكسوة مكة من الديباج يتخذ بها ، وبها للسلطات طراز . وأما السوس فانه تعمل بها الحزوز ومنها تحمل إلى الآفاق ... وبقرقوب السوسنجر الذى يحمل إلى الآفاق (١) .

وأشار الجغرافيون والرحالة إلى ظاهرة طريفة ، وهى أن صناعات كرمان اشتهرت بتهاافت الأسواق عليها حتى لجأ الكثيرون إلى تقليدها ، أو وضع علامة بمدن كرمان التجارية على بعض للنسوجات ، مثل صناعة مدينة كذا ، من باب التحايل وتصريف السلع . فقال الاصطخرى عن مدينة بصى بالأهواز أنه تعمل بها الستور: « التى تحمل إلى الآفاق ، المكتوب عليها عمل بصى ، وقد تعمل بيزون وكيلوان وغيرهما من تلك المدن ستور يكتب عليها بصى وتدلس فى ستور بصى ٥٠٠٠ ونهر تبرى تكون بها ثياب تشبه ثياب بفسداد ، وتحمل إلى بفسداد فتدلس بالبفسدادى وتقرر ببفسداد^(٢) » وتشير عبارة الاصطخرى الأخيرة إلى التجاء أهل الأهواز بدورهم إلى تقليد صناعات العراق وأن التكامل الاقتصادى كان قائماً بين سلع كل منهما بطرق مشروعة وغير مشروعة كذلك .

وصارت الأهواز بذلك ، وهى أولى مقاطعات الساحل الفارسى ، حلقة وثيقة الاتصال ببلاد العراق ، وتكمل الروابط بين سائر بلدان الخليج على عصر العباسيين . ودعم هذه الروابط تسيير أسباب النواصل بين الأهواز والعراق ، والمنايا بالطرق المؤدية إلى كل منهما . واشتهر من الأهواز إلى العراق طريقين عظيمين : أحدهما إلى البصرة ثم إلى بفسداد ، والآخر إلى واسط ثم إلى بفسداد . وحددت كتب الجغرافيين

(١) الاصطخرى ، نفس المراجع ج ٢ ، ص ٦٤ . ابن حوقل ، نفس المرجع ص ٢٣١

(٢) الاصطخرى ، نفس المرجع ، ص ٦٤ .

بوالسالك معالم هذين الطريقين^(١) ، مما يدل على نشاط حركة التبادل التجارى بين مقاطعات الخليج في ظل الادارة العباسية وحزمها ويقظتها .

مقاطعة فارس :

امتدت مقاطعة فارس من الأهواز شرقا ، وشملت تقريبا كل الساحل الشرقى للخليج حتى مشارف مضيق هرمز^(٢) . واشتهرت هذه المقاطعة في التاريخ بسعتها وثراتها وأنها مهد الأكاسرة الذين أسسوا امبراطورية الفرس قبل الميلاد وبعده . وقد أطلق اليونان القدامى اسم هذه المقاطعة على جميع البلاد التى خضعت للأكاسرة ، وصارت علما على دولة الفرس لدى جيرانها وفى كتب التاريخ كذلك . غير أن أكاسرة الفرس حرصوا على الاهتمام بهذه المقاطعة والاقامة فى عاصمتها اصطخر بستمندون منها مقومات سلطانتهم وقوتهم . ولكن بقيام الفرس الساسانيين على العرش انتقلت العاصمة من اصطخر إلى المدائن على دجلة^(٣) ، حيث صارت بلاد ما بين النهرين هى قاعدة طريق الخليج العربى وحلقة الربط بين سواحله الثلاث وما يطل عليها من منافذ تجارية .

وتابع أكاسرة الفرس الساسانيين من المدائن سياسة الاهتمام بمقاطعة فارس حيث حرص كل واحد منهم على جعلها مدداً يرودهم بالثراء ويعزز سلطانتهم الجديدة فى بلاد ما بين النهرين . وتبجلى ذلك فى تقسيم تلك المقاطعة إلى خمسة كور كبرى ، خص الأكاسرة كل منها بالمشاريع الزراعية والصناعية العظمى ، ووضعوا الانتاج الزراعى

(١) ابن خرداذبه ، نفس المرجع ، ص ٦٠ ، ٦١ .

ابن حوقل ، نفس المرجع ، ص ٢٣٢ .

(٢) ابن حوقل ، نفس المرجع ، ص ٢٣٤ .

(٣) ارثر كرستيسن ، ايران فى عهد الساسانيين (ترجمة تيمى الحشاش) ص ٨٢ ، ١٠٠ .

والصناعى فى خدمة تجارة تلك المقاطعة على الخليج (١) . وعندما أعتلى العباسيون العرش ورثوا هذا التراث الهام فى مقاطعة فارس ، ولم يجدوا أمامهم من سبيل سوى الاحتفاظ بأوضاعها وتقسيمها الإدارى كذلك ، ضمنا لاستمرار دورها كإحدى المقاطعات البحرية الكبرى على الخليج .

واحتفظت مقاطعة فارس بذلك بمقاماتها الاقتصادية على عهد العباسيين ، وأخذت تطلق مرة أخرى فى ميدان الازدهار والتقدم الاقتصادى . وساعد على ماخضت به من انطلاق وثاب فى تلك الميدان ظاهرة استقرار القبائل العربية على نحو ما حدث طوال العصر العباسى على الساحل الفارسى للخليج ، وازدياد تعريبه وتحول مراكز الجيوش العربية بفارس إلى مدن زاهرة أيضا . ولقيت مقاطعة فارس اهتماما كبيرا من العباسيين بسبب طبيعة أرضها الجغرافية . فكانت تلك المقاطعة تمتد على ساحل الخليج امتدادا طويلا بسبب مزاحمة سلاسل جبال زاغروس لأرضها ، حتى صارت مقاطعة فارس « بلد إلا وبه جبل ، أو يكون للجبل منه بحيث تراه إلا اليسير » (٢) .

وفرضت هذه هذه الظاهرة الجغرافية على القبائل العربية أن يتركز استقرارها على النطاق الساحلى لمقاطعة فارس وما جاوره من جهات معينة من سفوح الجبال . ذلك أن مقاطعة فارس انقسمت قسمين متباينين ، على نحو ما وصفها به الجغرافيون المسلمون ، وكما اسم به فعلا مناخها ، القسم الأول الجنوبى فهو كما سماه الجغرافيون للمسلمون « جروم » أى مناخ المناطق المدارية الحارة ، والقسم الثانى الشمالى فهو « صرود » أى للنواح الباردة . « فأما الصرود فإن منها أما كن يبلغ من شدة البرد فيها ألا يلبث عندهم شئ من الفواكه سوى التزرع كالأرد . . . وأما الجروم فإن

(١) ابن حوقل . نفس المرجع ، ٢٣٦ .

(٢) اصطخرى ، نفس المرجع ، ص ٦٧ .

بها ما يبلغ من شدة الحر في الصيف الصائف ألا يثبت عندهم شيء من الطيور من شدة الحر (١) . وترتب على ذلك تركيز استقرار العرب في الجهات المعتدلة على الساحل لقرىها من البحر، وكذلك في الجهات الواقعة بين الجردوم والصرد ولاعتدال مناخها أيضا . وصارت جبال زاغروس تمثل الحد الذي وقفت عنده العروبة وتركت مقاطعة فارس الساحلية تدخل في نطاق التعريب الذي استقرت مظاهره على امتداد الخليج زمن العباسيين .

وعلا شأن كثير من العرب الذين استقروا في مقاطعة فارس ، وغدت لهم أسر عريقة ، ربطوا نسبها بالمهجرات العربية قبل الإسلام إلى الساحل الفارسي للخليج، إيمانا في الاعتزاز بوطنهم الجديد وسلطانهم هناك . وامتزج أولئك العرب بالسكان المحليين في مقاطعة فارس مما أتاح السبيل لكثير من الأسر للفارسية أن تعتق اللسان العربي وتشارك مع العرب المستوطنين في دعم اقتصاد مقاطعتهم وتنميته باعتباره ملكا مشتركا للجميع . وشرح الجغرافي الاصطخري في إسهاب هذه الظاهرة الهامة فقال :

« والعرب الذين توطنوا فارس وصاروا من أهلها . . . فمنهم آل عمارة ويعرفون بالآل الجلندي، ولهم مملكة عريضة وضياح كثيرة وقلاع على البحر بفارس متاخة كرمان ويزعمون أن ملكهم هناك قبل موسى عليه السلام . وأن الذي قال الله عز وجل (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) هو الجلندي . وهم قوم من أزد اليمن ولهم إلى يومنا هذا منصعة وبأس وعدد . . . وإليهم أرساد البحر وعشور السفن . . . ومنهم آل أبي زهير اللدني ينسب إليهم ابن زهير ، وهم من سامة بن لؤي

(٢) الاصطخري ، نفس المرجع ، ص ٨٢

ابن حوقل ، نفس المرجع ص ٢٥٢

ملوك ذلك السيف ، ولهم منعه وعدد وجمهر بن أبي زهير القدي قال فيه
الرشيد وقد وفد عليه في ملوك فارس : لولا طرش به لاستوزرته ومنهم آل
حنظلة بن نعيم من ولد عروة بن أذية الذين عبروا من البحر إلى فارس في أيام
بني أمية بعد قتل عروة بن أذية فسكنوا اصطخر ونواحيها وملكوا الأموال الكثيرة
والقرى النفيسة . وكان منهم عمرو بن عيينة ، وبلغ من يساره أنه ابتاع بألف ألف
درهم مصاحف فوقها في مدن الإسلام (١) .

وترتب على انتشار العرب بفارس شيوع اللسان العربي والتدوين باللغة العربية
حتى أن أهالي فارس المحليين احتاجوا إلى من يفسر لهم اللغة الفهلوية التي دونت
بها « كتب المعجم وأيامهم ومكاتبات المجوس فيما بينهم » (٢) ونبع كثير من أهل
فارس في اللغة العربية ، اشتهر منهم عبد الحميد بن يحيى ، وعبد الله بن المقفع وكان
فارسيا أقام بالبصرة ، وسيبويه « وكان مقبلا بالبصرة ، ويقال أنه من أهل اصطخر
فاقام بالبصرة . . . وله (الكتاب) المنسوب إليه في النحو » واعتمد العباسيون على
كثير من أهل فارس في إدارة دولتهم الجديدة لاجادتهم اللغة العربية وسائر فنون
الأعمال الإدارية والسياسية . وشرح الاصطخرى هذه الظاهرة الهامة في تطور
مقاطعة فارس فقال : « والفارس هم شحنة دواوين الخلافة والممال الذين بهم قوام
السياسة ، من الوزارات وسائر أعمال الدواوين ، منهم البرامكة وآل ذوى الرئاستين
وإلى يومنا هذا من المادرائيين والفريائيين وسائر شحنة الخلافة من الأولاد الفرس
وبفارس قوم يقال لهم أهل البيوتات ، يتوارثون فيما بينهم أعمال الدواوين ، منهم آل
حبيب ، وكان مشايخهم مدرك وأحمد والفضل بنو حبيب وأصلهم من كام فيروز ومنشؤم

(١) الاصطخرى ، نفس المرجع ، ص ٨٢

(٢) ابن حوقل ، نفس المرجع ، ص ٢٥٣

غيراز ، قطنوها وتقلدوا الأعمال الجليلة الشريفة وكان المأمون الخليفة استدعى مدرك
بن حبيب إلى بغداد للحساب وغيره من وجوه الخدمة ، وحظى عنده وقرأ عليه
ومات ببغداد أيام المعتصم . وآل أبي صفية من موالى باهله ، منهم يحيى وعبد الرحمن
وعبد الله بنو محمد بن اسماعيل ، نافلة توطنوا بها في زمان المأمون وتقلدوا أعمال
الدبوان بها . وأما آل الرزبان بن ازادية فانهم كانوا من أهل شيراز . فمؤلا مع آخرين
لم نذكرهم أهل بيوت يتوارثون هذه الأعمال » (١) .

وغدت شيراز عاصمة مقاطعة فارس مرآة لهذا التعريب الذى ساد تلك المقاطعة
البحرية ، فكانت هذه المدينة فى الحد بين الجروم والصرود ، أى فى المنطقة المعتدلة
بمقاطعة فارس ، والى أحبها العرب . وكانت هذه المدينة معسكرا للمسلمين حين
اتجهوا لفتح اصطخر ، وبنائها القائد محمد بن القاسم بن أبى عقيل بن عم الحجاج .
وسميت هذه المدينة بشيراز تشبيها لها بجوف الاسود ، وذلك أن عامة البر بتلك
النواحي تحمل إليها ، ولا تحمل إلى مكان (٢) « وحافظ العباسيون على تلك المدينة
وجعلوها عاصمة لمقاطعة فارس وعنوانا على العهد الجديد الذى ساد الساحل الفارسى
للخليج . إذ تابع العباسيون سياسة الاهتمام بمقاطعة فارس وتنمية مواردها
الاقتصادية ولشجيع حركة التجارة والملاحة بها . ونمت مقاطعة فارس بعدد من
من الأنهار التى تتدفق مياهها من الجبال إلى الخليج ، وعدد ابن حوقل تلك الأنهار
قائلا : « وأما أنهارها الكبار التى تحمل السفن إذا اجريت منها فانها نهر طاب ونهر
شيرين ونهر الشاذكان ونهر درخيد ونهر الخوبدان ونهر رسى ونهر سكار

(١) الاصطخرى ، نفس المرجع ، ص ٨٨

(٢) ابن حوقل ، نفس المرجع ، ص ١٤٥ ، ٢٥٦

المقدسى ، نفس المرجع ، ص ٤١١

ونهر جرجيق ونهر كر ونهر فرداب ونهر برزه فهذه المعروفة المشهورة (١).

واستلزم الاستفادة من مياه تلك الأنهار للرى وبخاصة في الجهات المرتفعة للقرية من الجبال نظاما خاصا في بناء السدود والقناطر ، فكانت تعمل في جوف الأرض قنوات معقودة عليها قناطر ، وقد يبلغ طول القنوات خمسين كيلو مترا واحتاج هذا التنظيم إلى مهارة كبيرة ، فكان على القائمين أن يملأوا الطبقات الأرضية التي يجرى عليها الماء ، كما كان عليهم أن يجعلوا لهذه الطبقات ميلا يساعد الماء على سرعة الجريان عند ازدياده (٢). واشتهرت كور فارس بذلك بوفرة الإنتاج الزراعي وبخاصة منتجات كل من للناطق الحارة والباردة معا ، مثل النخيل والكروم والزيتون والجوز والأترج (٣) . وانتشرت في مقاطعات فارس زراعة الحدائق والأهور ، وعلا شأن بعض نواحيها مثل ناحية التوبندجان التي عاش بقربها شعب « بوان » ويكون مقدار فرسخين قرى ومياها متصلة ، فقد غطت الأشجار القرى حتى لا يكاد يراها الإنسان إلا أن يدخلها ، وهو أزه شعب بفارس (٤) .

واشتهرت مقاطعة فارس أيضا بكثرة الراعي على سفوح الجبال وسهولة انتقال الرعاة عليها صيفا إلى الجهات العليا ، وشتاء إلى الجهات السفلى. وتشابهت حياة أولئك الرعاة مع حياة البدو للعرب ، حتى أنهم « دعوا الانتساب إلى أصول عربية . وأشار إلى ذلك ابن حوقل قائلا : عن مناطق أولئك الرعاة « ويخرج من الحى

(١) ابن حوقل ، نفس المرجع ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٢) متر ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٣) القديسي ، نفس المرجع ، ص ٤٣٤ .

(٤) ابن حوقل ، نفس المرجع ، ص ٢٤٨ .

ألف فارس وأكثر وأقل ينتجون في الشتاء والربيع والصائف والخريف .
 ويذكر ابن دريد أنهم من العرب، وأن أكثرهم من ولد كرد بن مرد بن عمرو بن عامر
 في حماسة . وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد عن إسحاق بن عمار عن العرب وأخبارها
 يخرج بقوله ويسلم له ما يدعيه من هذا الباب وغيره « (١) » .

ونمت أرض فارس بثروة معدنية أضافت إلى بهاها الزراعية والرعي . وعدد
 الاصطخرى أنواع تلك للمادن ، فذكر « ويكون بأرض فارس عامة للمادن
 من الفضة والحديد والآنك والكبريت والنفط ، وإشياء ذلك مما يستقل به أهلها
 مما يكون في سائر الأقطار . إلا أن الفضة بها قليلة بناحية يزد بموضع يعرف بنائين
 ولا أعرف بها معدن الذهب . ومعدن الصخر بالسرطان يوصل منها إلى البصرة
 وسائر النواحي والحديد يرتفع من جبال اصطخر ، وبقرية من كورة اصطخر تعرف
 بدارا بجرمد معدن الزئبق « (٢) » .

وقامت على هذه الثروة الزراعية والطبيعية نهضة صناعية باهرة في مقاطعة فارس
 جعلت من الساحل الفارسي للخليج مصدرا هاما من مصادر التجارة الإسلامية
 على عهد العباسيين . واشتهرت مقاطعة فارس بمراكز صناعة المنسوجات من الكتان
 وصناعة البسط وصناعة الروائح العطرية . واشتهرت مدينة كازرون بصنع ثياب الكتان
 حتى أنها كانت تسمى « دمياط الأعاجم » لاستيرادها للكتان من مصر أحيانا

(١) ابن حوقل ، نفس المرجع ، ص ٢٤٠

(٢) الاصطخرى ، نفس المرجع ، ص ٩٣

(٣) ابن حوقل ، نفس المرجع ، ص ٢٦٢

ولطريقة منهم من جعله أيضا (١) . ولم تلبث كازرون أن سارت مركزا هاما لهذه الصناعة وتجارتها كذلك ، بفضل صلاحية البيئة المجاورة لها من مياه الأنهار . فكان السكان يبل في البرك القريبة من المدينة ثم يفصل بعضه عن بعض وينزل . ثم ينسل خيوطه في ماء نهر الرهبان ، وماء هذا النهر وإن كان قليلا شحيحا فإن له خاصية ببيض خيوط الكتان ، مع أنها لا تبيض في غيره من الماء (٢) .

وارتبط بتلك الصناعة نشاط تجارى عند أهل كازرون . وتولى تلك التجارة جماعة من السامرة يأخذون الأقمشة ، ويحتمون اللقائف قبل تسليمها للتجار الأجانب وكان هؤلاء التجار يثقون بالسامرة ، ويشترون اللقائف من غير أن يفكوا حبائلها ، بل يأخذونها كما هي . وكانت إذا وصلت اللقائف إلى أم بلد اعتراها التجار من غير أن يفتحوها واكتفوا بمجرد الموزال عن شهادة السامرة بكازرون . وكثيرا ما كان يحدث أن يتقل الحمل من لقائف كازرون ، حتى تتداوله عشرين ، من غير أن يهلك وثاقه (٣) .

وعلا شأن مقاطعة فارس في إنتاج الفرش الصوفية ومنافستها لنبرها من تلك الصناعة بالأقاليم الأخرى . وكان أحسن البسط الفارسية يصنع في مدينة سوسنجرود حتى صار أهلها وأعمالهم نماذج يحتذىها سائر المشتغلون بتلك الصناعة ، وعزز صناعة البسط أشتهار سوسنجرود أيضا بالمهارة في الجمع بين الصوف وخيوط الكتان في النسيج وتجميل كل ذلك بالوشى . وحاولت بعض مدن العراق مثل قرقوب

(١) الاصطخرى ، نفس المرجع ، ص ٩٢ ، للقدسى ، نفس المرجع ، ص ٤٣٣ .

(٢) متر ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ ، ٤٤٩ .

(٣) متر ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ .

تقليد صناعة سوسنجرود ، ولكن هذه المدينة ظلت محتفظة بثقافتها الصناعية كما قال
الاصطخري « لأن القرقوب ابريسم ، وهذا صوف ، والصوف أجود من الابريسم
في الصنعة » (١) .

وراجت في مدن مقاطعة فارس صناعة روائح العطر ، والادهان . « فانه
ما يرتفع من بلدان غارس عما ينقل إلى الأمصار ، وما يفضل في جنسه على سائر
ما يرتفع في البلدان فمن ذلك ماء الورد الذي يرتفع من جور ، فإنه يفضل في جنسه ،
وينقل إلى البحر فيفرق في الحجاز واليمن والشام ومصر والمغرب وخوزستان والجلال
ويرتفع من زجور ما هو أجود إلا أن معظم الجهاز منه . ويرتفع بحور ماء الطلع
وماء النيصوم الذي لا نمره في بلد غير جور ، وماء الزعفران الموس وماء الخلاف
الذي يفضل على جسة في سائر البلدان واختصت سابور بصناعة الادهان وتصديرها
كذلك إلى سائر الجهات واشتداد الإقبال عليها » (٢) .

واشتهل الاتساع الزراعي والصناعي من مدن فارس وكورها برا وبحرا إلى
سائر بلدان الخليج ، وتدفقت بصفة خاصة على بلاد العراق ، حيث كان نصيب
الخلافة مثلا من ماء الورد قدراً هائلاً ، سجلته قوائم الخراج على عهد العباسيين
وساعد على نشاط لتجارة استتباب الأمن على امتداد الطرق وتوافر الراحة أيضا .
ووضع العباسيون نظاما لذلك ، فكان على سائر النواحي بفارس عمال « الزموا
اقامة البزقة » (٣) القوافل وحفظ الطرق » (٤) وكان أهل القرى بفارس يختارونه

(١) الاصطخري ، نفس المرجع ، ص ٩٢

(٢) الاصطخري ، نفس المرجع ، ص ٩٣ .

(٣) البزقة ، هي المنفارة والحواش .

(٤) الاصطخري ، نفس المرجع ، ص ٧١ .

عن 'بينهم رجلا مهمته توزيع الصوف على أهل القرية ، وكانوا يسمونه الحرير ، كما اشتهر نقر من كبار رجال بيوتاتهم بأقامة الربط وإعداد أناس بها للعمل على راحة المسافرين من التجار . واشتهر أهل فارس بذلك بالتفوق في ميدان التجارة على عهد العباسيين وتقلد أعنة مقابليد الشئون الاقتصادية في شتى النواحي ، وقد اعطوا من ذلك ، كما قال الاسطخري « حظا جزيلًا حتى أن أحدهم اينلغ ملكه . وم أهل صبر على القرية وحرص على جمع المال ، وفيهم اليسار ظاهرا حينما كانوا ، وما علت مدينة في بر ولا بحر فيها قوم من الفرس مقيمون إلا وم عيون تلك المدينة ، والغالب عليهم اليسار واهتمامه الحال والعفة » (١) .

مقاطعة كرمان :

قامت هذه المقاطعة عند الطرف الجنوبي للساحل الفارسي للخليج إلى الشرق عن مقاطعة فارس . وعلا شأن كرمان بسبب موقعها الجغرافي الممتاز على الدخول الجنوبي للخليج ، وطبيعة التضاريس الأرضية هناك . ففي أرض كرمان يتأثر امتداد سلسلة جبال زاغروس ببعض التغيرات ، تجعلها تنبج إلى الشمال ، بحيث تقسج تقويس كبير من الساحل يمتد بدوره إلى مسافات عميقة بالداخل . وهذا التقويس الساحلي لكرمان يختلف بذلك عن التقويس الجنوبي لمقاطعة فارس ، بحيث صار تقويس كرمان صالحا لتقوى الموانئ الهامة وسيطرتها على التجارة والملاحة بالخليج العربي . ووصف الجغرافيون المسلمون هذه الظاهرة لأرض كرمان بأنها عبارة عن امتداد في حد فارس « مثل السلم » ، وفيما يلي البحر لها تقويس » (٢) .

(١) الاسطخري ، نفس المرجع ، ص ٨٤ .

(٢) الاسطخري ، نفس المرجع ، ص ٩٢ .

وزاد في أهمية هذا « المعكم » أو الدخلة الأرضية لساحل كرمان وجود بعض
المرات في النطاق الجبلي ، أتاح الاتصال اللذين بين الساحل وداخل البلاد . وتحدث
كرمان تتم بموقع يرى على الطريق إلى بلاد الهند خلال عمر بولان ، وذلك فضلاً
عن إشرافها على الطريق البحري ، وأضفت لطبيعتها أنجراً مزايها على كرمان بحيث
جملت جزءاً من ساحل عمان ينطلق كالسهم نحوها على هيئة شسبية جزيرة مستندم
وخلقت بالتالي في جوف التقويس الساحل لسكرمان مضيقاً بحمياً هاماً ، اشتهر باسم
أكبر مدن كرمان وهو مضيق هرموز ، وهذا هذا المضيق لسكرمان المنعك في
للإحالة بين كل من الخليج الفارسي وخليج عمان ، والمضامة في نفس الوقت مع
عمان في تقوية حلقة للواصلات البحرية مع الساحل العربي للخليج (١) .

وصارت كرمان بذلك وثيقة الصلة ببلاد العرب ، ولقيت بدورها الكثير من
المهجرات العربية التي انطلقت في سهولة ويسر من عمان عبر رأس مستندم ، ودعمت
مظاهر التعريب على الساحل الفارسي للخليج . وركت هذه المهجرات العربية التي
استقرت بدورها زمن العباسيين أسماءها على جهات عديدة من كرمان وبخاصة على
بعض الجزر القريبة من الساحل ، مثل جزيرة قيس ، التي ينفق اسمها مع اسم من
الأسماء العربية الشائعة . وشاهد العصر العباسي تطوراً هاماً أيضاً في حياة سكان
كرمان الأصليين ، إذ ظلوا على « الجوسية أيام بنو أمية كلها . . . فلما ولي الأمر
بنو العباس أسدوا » (٢) وصار السيل مفتوحاً أمامهم للمضامة في إدارة بلدهم والدولة
العباسية كذلك .

واختصت كرمان بسبب طبيعتها الجغرافية بموارد طبيعية عديدة ، كان لها شأن

(١) الاصطخري ، نفس المرجع ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) الاصطخري ، نفس المرجع ، ص ٩٩ .

عظيم في التنمية الاقتصادية على عهد الباطين . فجمعت بعض أبحاثها بين مشجعات
الجرود (البساتين الحارة) والسرود (البساتين الباردة) . ولكن كرمان المشهورة
بمشجعات خاصة بها وهي زراعة شجر النخل الذي يستعمل في مطاعة اللون الأزرق ،
وصدوت كميات كبيرة منه إلى الهند والعراق ، وكذلك ازدهرت كرمان بزراعة
التفاح الذي « يحمل منها إلى الأقاليم » . وأسهمت كرمان بدورها في إنتاج التمر
الذي صار أحد الثروات الرئيسية ببلدان الخليج العربي كلها . وكثرت التمور في تلك
المنطقة حتى إن أصحابها لم يتمكنوا أحداً من الحصول على ما يريدون ، فكانت لهم
سنة حسنة ، لا يرضون من ثمرهم ما أصحقطه الريح ، فيأخذونه غير أربابهم ، وبما
كثرت الرياح فيصير إلى الضعفاء من التمور في التقاطهم إياها أكثر مما يصير للأولياء .
وابتاع أهل كرمان أسلوباً تجارياً فريداً في تشجيع تجارة التمور الخاصة ببلدهم لم
يعرف في جهة أخرى من جهات الخليج ، فإذا أكلوا الحماليين لكل التمر إلى خراسان
مقاصفة تشجيعاً لهم ، وضمناً لزيادة الدخل . ومن ثم قصد كرمان كل سنة
ساعة ألف جمل : « يدخلونها على غفلة ويكثر الزنا والفساد في هذه القوافل » (١) .

وكانت ظاهرة اشتداد الرياح على كرمان ، وإسقاطها للتمر سيلاً دفع الأهالي
إلى الإفادة منها في خلق نهضة صناعية قوية ، فصبوا عليها أرحاء يسرونها بها
وبخاصة زمن اشتداد تلك الرياح ابتداء من منتصف يونيو إلى نهاية شهر أغسطس .
وكان للرحى الواحدة ثمانية أجنحة ، وتكون وراء عمودين ينفذ بينهما الهواء
كالمسلم ، والأجنحة تقوم عمودية على قائم عمودي أيضاً ، طرفه الأسفل يترك حرجاً ،
فيدور هذا الحرج على حرج آخر . وزودت هذه الأرحاء بتنافس تعلق وتلتصق
بحسب الحاجة .

(١) تاريخ الخليج العربي ، ص ٤٦٩ .

(١) المقدسي ، نيس المرحم ، ص ٤٦٩ .

واشتهرت كerman بصناعة « الفانيذ » وهو نوع من السكر الأبيض ، وصدرت منه كميات كبيرة إلى جيرانها . وأسهمت بدورها كذلك في استخراج الحديد والفضة ، حيث توافر هذان المعدنان في أرضها . على أن شهرة كerman الصناعية بلغت أوجها في صناعة اللسوجات التي شاعت أيضاً في سائر بلدان الخليج العربي . وكان لا بد من قيام تنافس بين سائر تلك البلدان ، ومحاولة كل منها أن تتميز بنوع معين من تلك الصناعة . واشتهرت مدينة بـم بشرق كerman بصناعة الثياب القطنية الفاخرة والتي كانت محمية إلى الناس لملامتها للجو الحار . « وكان من طرائف ما يعمل فيها الطيالة للفسورة التي تنسج برقارف ، يبلغ الطيلسان منها المشرب الرفيع ثلاثين ديناراً . وكانت تحصل إلى أنطار الأرض وتباع بخراسان والعراق ومصر » (١) . وغدت ثياب بـم تتفوق على ما جاورها من صناعات البلاد الأخرى وبخاصة مدينة مرو التي كان يصنع فيها نوع من الثياب القطنية « لا يمكن أن يلبس لتقله وغلظه ، ولتلك يسميه للتبي لباس القروء . ويقول أبو القاسم لقاسم يهجوم : « على أبدانكم ثياب بفت ، خشن ، مروى ، غليظ ، من غزل البيت ، طاقة ضحلة ، وغزول مطابقة ، منها قصانكم ومنها عمامكم » (٢) .

وصارت مقاطعة كerman تسهم مع سائر مقاطعات الخليج العربي في إنتاج اللسوجات الجيدة وتضع مواردها كذلك في خدمة التكامل الاقتصادي لبلدان الخليج . ونالت مقاطعات الساحل الفارسي للخليج شهرة فائقة زمن العباسيين حيث سارت تسمى « خزانة العراق » لكثرة واردات العراق من هناك . ونعق لبلدان الخليج العربي على عهد العباسيين رخاء اقتصادي صار نموذجاً للحضارة الإسلامية ورفاهية أهلها مادياً ومعنوياً إذ اقترن رأس المال في بلدان الخليج

(١) الاسطخرى ، نفس المرجع ، ص ٩٩ ، ١٠٠

(٢) متر ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٣٥١

استثماره في ميدان الزراعة والصناعة ولشجيع حركة التجارة . ونجم عن ذلك
 اغتفال كبار التجار وأصحاب الصناعات في بلدان الخليج بتجارة الترف والنعم
 (السكايات) التي تمنح دليلاً على أن أهلها تخطوا مرحلة الضروريات إلى مرحلة
 الحياة الرغدة الهنية . وتردد صدى هذه الحقيقة في كتب الرحالة والجغرافيين
 المسلمين الذين جابوا بلاد الدولة الإسلامية . فينصح للقدس بنصيحة يعرف بها
 الإنسان خفة ماء بلد أو ثقله فيقول : إذا أردت أن تعرف خفة ماء بلد ، فاذهب
 إلى البزازين والمطارين ، فنصح وجوهم فإن رأيت فيها للماء فاهلم أن خفته على قدر
 حازي من نصارتهم . أما إن رأيتها كوجوه اللوق ورأيتهم مطامئ الرؤس فاعلم الخروج
 منها ، فالقدس يعتبر أن أقرب التجار إلى الترف والنعم هم البزازون والمطارون ،
 وهم طبقة كثر انتشارها في بلدان الخليج العربي نتيجة التنمية الاقتصادية التي سادت
 تلك البلدان في عهد العباسيين .

وسجلت لفة الأرقام مدى رفاهية بلدان الخليج ونشاطها الاقتصادي زمن
 العباسيين . إذا أوضحت قوائم الخراج التي جاءت عن العصر العباسي أن بلدان
 الخليج العربي أسهمت بلصيب وافر في بناء ميزانية الدولة العباسية وتلك القوائم
 أربعة وهي : ١ - قائمة الجهمشياري في كتابة « الوزراء والكتاب » ٢ - قائمة
 ابن خلدون في مقدمته - ٣ - قائمة قدامة بن جعفر في كتابه « الخراج »
 ٤ - قائمة ابن خرداذبه في كتابه « المسالك والممالك » فندت « هذه كلها وثائق
 تاريخية نادرة ، وهي تبين حالات الخراج بالتفصيل في مدى نحو نصف قرن من
 عهد الرشيد إلى عهد الواثق أو التوكل » (١) .

(١) ضياء الدين الريس . الخراج ، ص ٥٠٩ ، ٥١٠ .

وعطابق قائمة المجهوليات مع قائمة ابن خلدون في مجالها لمحتل الدولة العباسية
ومن الخليفة منارون الرشيد (١). وكان نصيب بلدان الخليج العربي في الخراج
لهم أو دخل الدولة العباسية إذ ذلك كما يلي :

(١) ناقش الدكتور الرئيس في كتابه الخراج كلا من قائمة المجهوليات وابن خلدون ، وأنها
أنهما ترجعان إلى عهد الرشيد ، وقد الأخطاء التي وقع فيها المؤرخون الذين تناولوا عن هاتين
القائمتين . واعتمدت لذلك على النتيجة التي وصل إليها الدكتور الرئيس في بحثه القيم ، وأثبت
عنه الجدول المذكور إلى أعلى بالتي عن مقدار خراج مقاطعات الخليج العربي . أنظر الرئيس .
الخراج ص ١١٥ .

أهم المقادير	مقدار الجبائية من الأموال	الأمتعة والعروض
١ - اثمان غلات «السواد» ...	٧٨٠	٨٠ درم
٢ - أبواب المال بالسواد ...	٨٠٠	١٤ درم
		٢٠٠ حبة
		الطين الختم: ٢٤٠ رطلا.
٣ - كوردجة	٨٠٠	٢٠ درم
٤ - الأهواز	...	٢٥ درم
٥ - فارس	...	٢٧ درم
		٢٠ ألف رطل
		الانيقات: ١٥ ألف رطل
		الطين السراق: ٥٠ ألف رطل.
		الزيت بالكسر
		الحاشي ٣ أكرار
٦ - گرمان	٢٠٠	٤ درم
		للنأغ البني والصيني
		٥٠٠ ثوب
		العصر ٢٠ ألف رطل
		السكر ١٠٠ رطل

وتتقارب قائمة قدامة التي جاءت في كتابه « الخراج » مع قائمة ابن خرداذبة عن دخل الدولة العباسية^(١) ، سواء من حيث الزمن أو للتقادير اللينة منها ، فكل منهما تشير إلى خراج الدولة زمن الخليفة المأمون وأوائل عهد الخليفة

(١) الرئيس ، الخراج ، ص ٢٥٨ ، ٢٢٢

المعتم (١) ويتضح منهما أن نصيب مقاطعات الخليج العربي في خراج الدولة العباسية كان على النحو التالي :

اسم الإقليم	مقدار الجباية بالدرهم
١ - السواد	٦٥٠ ٤٥٧ ١٤١ درهم
٢ - الأهواز	٠٠٠ ٠٠٠ ٢٣ درهم
٣ - فارس	٠٠٠ ٠٠٠ ٢٤ درهم
٤ - كرمان	٠٠٠ ٠٠٠ ٦ درهم
٥ - البصرة والبحرين	٠٠٠ ١٥٠ درهم
٦ - عمان	٠٠٠ ٣٠٠ درهم

ويتضح من استعراض قوائم الخراج الصالحة الذكر على عهد العباسيين أن التنمية الاقتصادية لبلدان الخليج العربي خلقت رأس مال ضخم أتاح للأهالي استثماره في ميدان التجارة العالمية والسيطرة على مفايلدها، فظهرت طبقة هامة من كبار التجار من أبناء الخليج العربي استطاعوا بترأسهم بث الثقة في المعاملات التجارية وتحويل نشاطها إلى الطريق الذي تطل عليه بلادهم، ذلك أن التجارة تقتزن دائماً في نشاطها برأس المال ولا تزدهر إلا في ظل حمايته وقوته .

(١) وازن الدكتور الرئيس بن هاجن القاسميين في كتابه "الخراج" ، ودرس الأرقام التي وردت في كلا منهما وبخاصة من إقليم "السواد" ، وخرج بنتائج أثبتتها في الجدول الذي أعلاه عنه فيما يتعلق بخراج بلدان الخليج العربي ، على النحو للتبث بالمثل إلى أعلى .

أنظر الرئيس ، الخراج ، ص ٥٣٨ ، ٥٣٩ .

وترتب على هذه الظاهرة الجديدة في بلدان الخليج انقلاب هام في الأحوال الاقتصادية للدولة العباسية وطريق الخليج العربي كذلك . إذ أصبح التجار النقي هو يمثل الحضارة الإسلامية التي صارت من الناحية المادية كثيرة للطلاب باعثة على الامتطالة في ذلك . وكان تجار الخليج العربي هم القادرون على توفير تلك الطلاب للمادية وجلب كل مقوماتها من شتى مصادرها المالية . ومن ثم غدت تجارة الخليج العربي في العصر العباسي من مظاهر أبهة الإسلام ، كما صارت هي السيدة في بلادها وبلاد العالم المجاور كذلك . فكانت سفن أبناء الخليج وقوافلهم تجوب كل البحار والبلاد ، حيث مصادر التجارة المالية وأسواقها كذلك ، وجعلت الدولة الإسلامية هي للتقلد لأهنة تلك التجارة المالية وللهيمنة على تصرفها وتوزيعها^(١) بما يحقق للعالم المعروف إذ ذاك شرقا وغربا الرفاهية والطمأنينة والاستقرار .

(١) واجم قائمة للتاجر الخاصة بهذا النشاط في كتاب :

HŪZAYYIN, Arabia and the Far East (CAIRO 1942) p. 189-214.

